أنا أحب النخيل

قصة محمد مكرم بلعاوي
رسوم إياد عيساوي

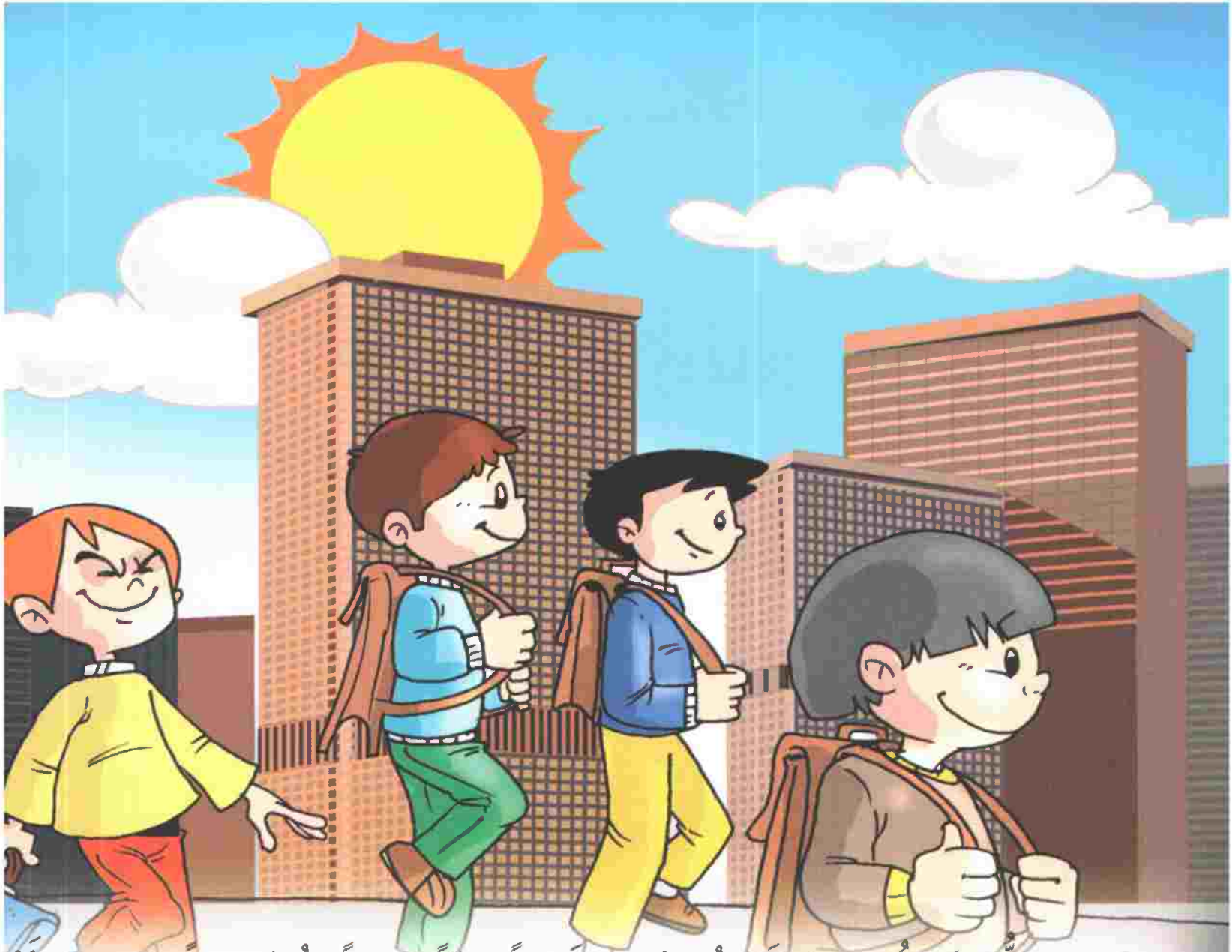

عِنْدمَا يَحِلُّ الصَّيْفُ يُصْبِحُ طَرِيْقُ المدْرَسَةِ طَوِيْلاً جِدّاً وَمُتْعِباً ، خُصُوصاً لِمَنِ اعْتَادَ أَنْ يَسِيْرَ إِلَيْهَا عَلَى قَدَمَيْهِ ، وَفِي الحيِّ الجَدِيْدِ ، لَمْ تَكُنْ هُناكَ أَيَّةُ أَشْجَارٍ لِيَسْتَظِلَّ التَّلامِيْذُ بِظِلِّهَا فِي طَرِيْقِ عَوْدَتِهِمْ إِلَى بُيُوتِهِمْ .

إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَمُرُّوْنَ بِالمسْجِدِ فَيَشْرَبُونَ الماءَ البَارِدَ ، وَيَسْتَظِلُّونَ في ظِلِّهِ قَبْلَ أَنْ يُوَاصِلُوا طَرِيْقَهُمْ .

زَيْدٌ وَعُمَرُ وَبِلالٌ وَفَايِزُ ، طُلابٌ فِي المَرْحَلَةِ الإِبْتِدَائِيَّةِ ، إِنَّهُمْ لا يُحِبُّونَ المَدْرَسَةَ كَثِيْراً .

يُحِبُّونَ اللَّعِبَ وَاللَّهْوَ وَالمَرَحَ ، يَرْكُضُونَ خَلْفَ بَعْضِهِمُ الْبَعْض طَوَالَ طَرِيْقِ العَوْدَةِ .

وَعِنْدَمَا يَدْخُلُونَ المَسْجِدَ فَإِنَّهُمْ يَدْخُلُونَ بِأَحْذِيَتِهِمْ ، وَيُوَسِّخُونَ السَّجَّادَ ،
وَيَسْكُبُونَ الماءَ عَلَى الأَرْضِ ، وَيَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ ، وَيَتَشَاجَرُونَ أَحْيَاناً !..

عِنْدَهَا يَخْرُجُ مُؤَذِّنُ المَسْجِدِ وَيَقُولُ لَهُمْ : « أَيُّهَا الأَوْلادُ إِذَا أَرَدْتُمُ الشُّرْبَ فَاشْرَبُوا وَاسْتَرِيْحُوا ، وَلكِنْ حَافِظُوا عَلَى نَظَافَةِ المَسْجِدِ ، فَهُوَ بَيْتُ الله ، وَلَا أَحَدَ يُحِبُّ أَنْ يَتَّسِخَ بَيْتُهُ ».

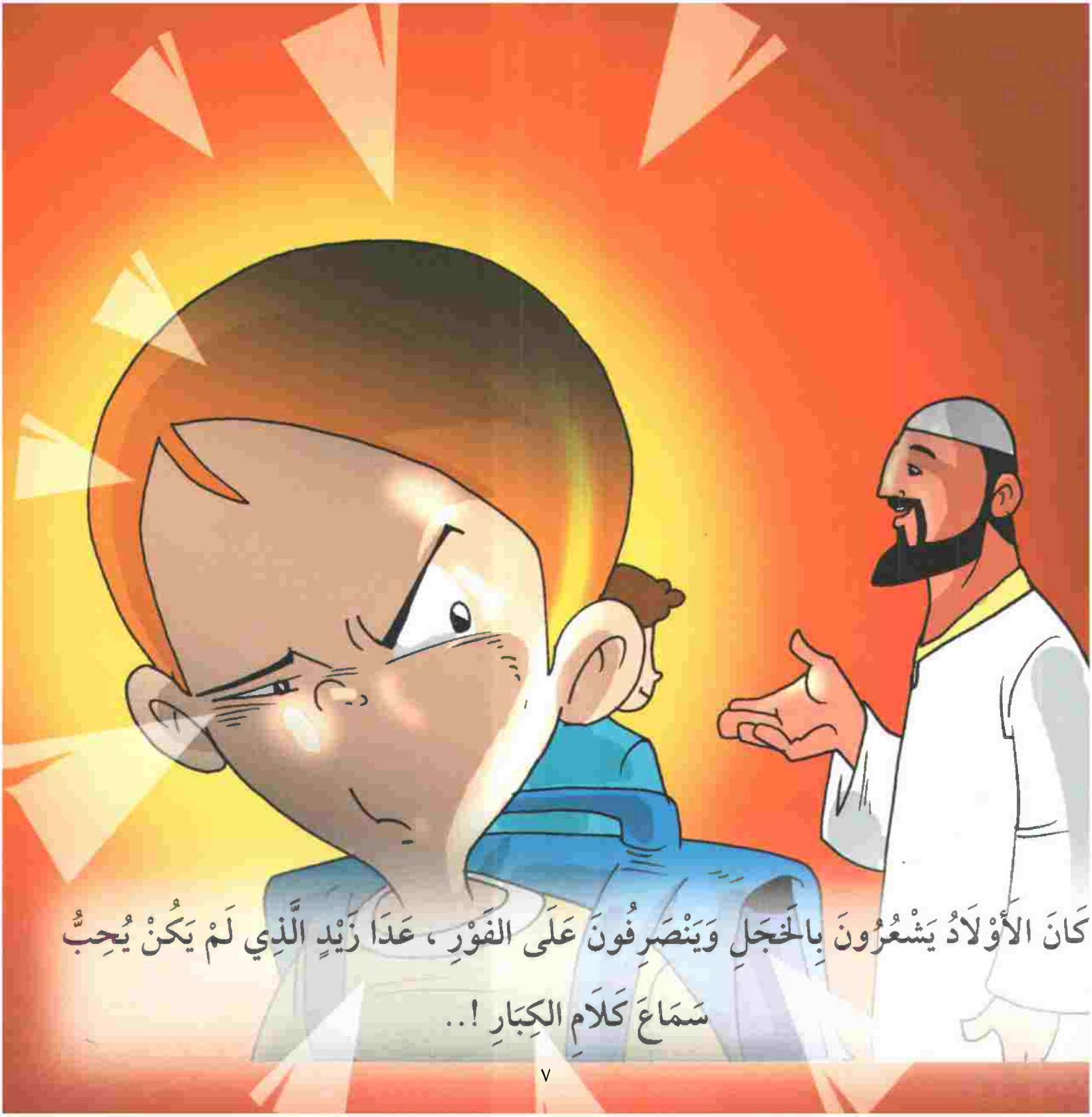
كَانَ الأَوْلَادُ يَشْعُرُونَ بِالخَجَلِ وَيَنْصَرِفُونَ عَلَى الفَوْرِ ، عَدَا زَيْدٍ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يُحِبُّ
سَمَاعَ كَلَامِ الكِبَارِ !..

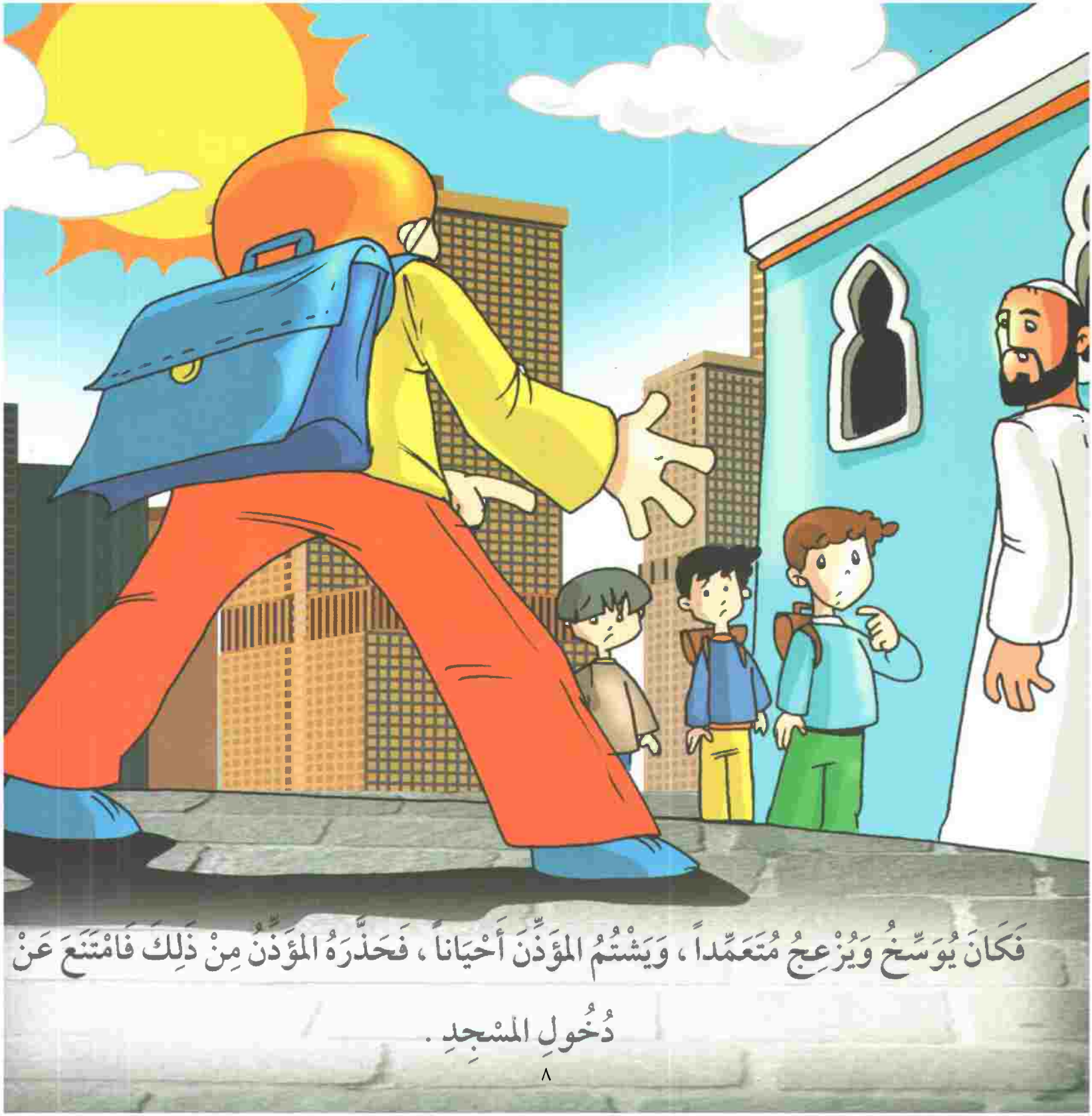

فَكَانَ يُوَسِّخُ وَيُزْعِجُ مُتَعَمِّداً ، وَيَشْتُمُ المؤَذِّنَ أَحْيَاناً ، فَحَذَّرَهُ المؤَذِّنُ مِنْ ذَلِكَ فَامْتَنَعَ عَنْ دُخُولِ المسْجِدِ .

فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى طَرِيْقِ العَوْدَةِ مِنَ المدْرَسَةِ ، كَانَ الأَوْلَادُ يَدْخُلُونَ المَسْجِدَ عَدَا زَيْدٍ الَّذِي كَانَ يَقِفُ فِي ظِلِّ الشَّجَرَةِ الوَحِيْدَةِ فِي الطَّرِيْقِ ، وَهِي نَخْلَةٌ صَغِيْرَةٌ عَلَى بَوَّابَةِ الْمَسْجِدِ ، وَيَنْتَظِرُ أَصْدِقَاءَهُ كَيْ يُحْضِرُوا لَهُ كَأْساً مِنَ الماءِ البَارِدِ .

مَرَّتِ الأَيَّامُ فَكَانَتِ النَّخْلَةُ تَزْدَادُ خُضْرَةً وَجَمَالاً ، ثُمَّ ظَهَرَتْ لَهَا عَنَاقِيْدُ صَغِيْرَةٌ مِنَ البَلَحِ الأَخْضَرِ ، كَانَ المؤَذِّنُ يَعْتَنِي بِالنَّخْلَةِ جِدّاً ، وَيُحِبُّهَا كَثِيراً ؛ لأَنَّهَا الوَحِيْدَةُ فِي الشَّارِعِ كُلِّهِ .

فَالنَّخْلَةُ شَجَرَةٌ مُبَارَكَةٌ وَطَعْمُ ثَمَرِهَا حُلْوٌ .

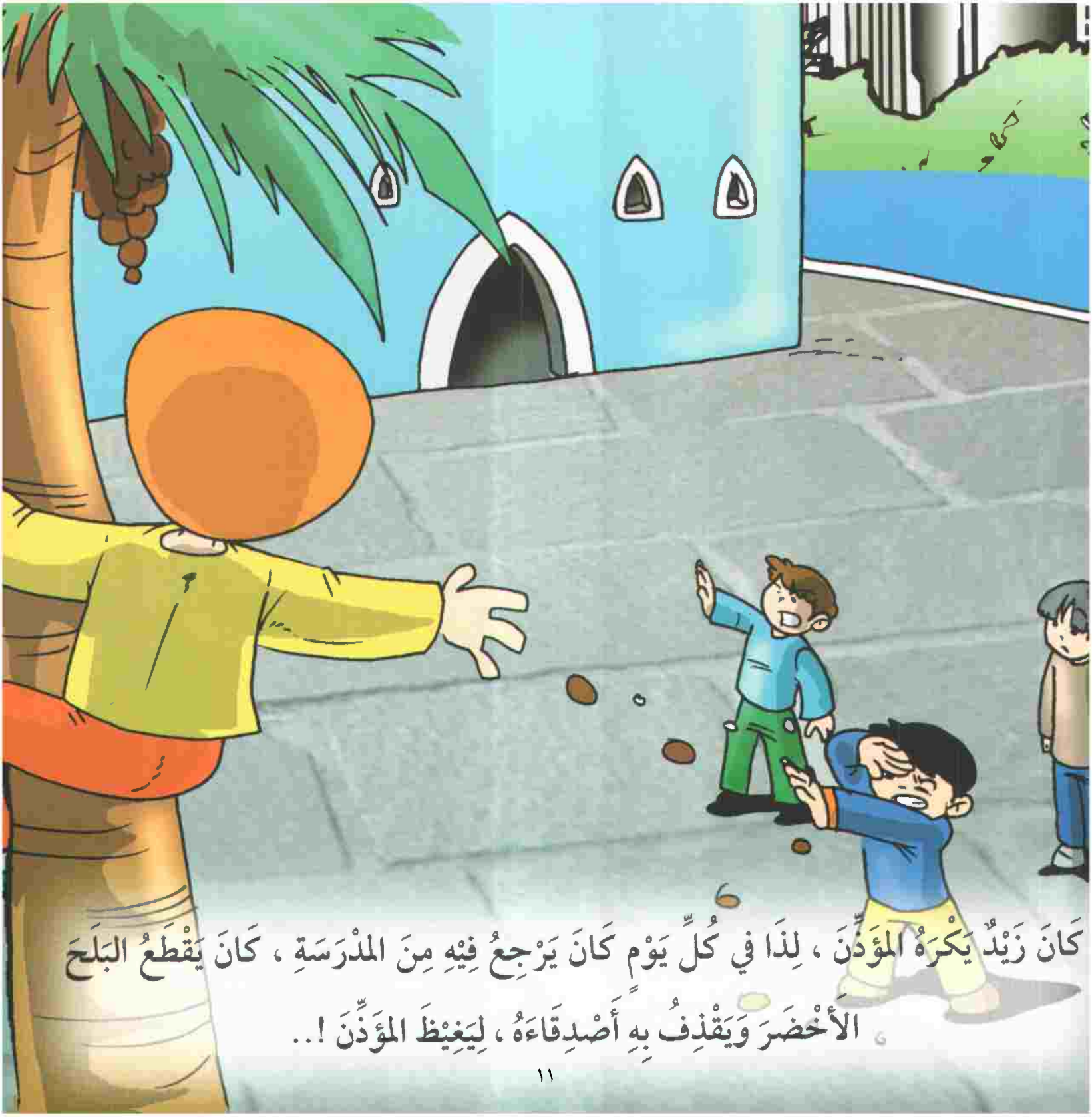

كَانَ زَيْدٌ يَكْرَهُ المؤَذِّنَ ، لِذَا في كُلِّ يَوْمٍ كَانَ يَرْجِعُ فِيْهِ مِنَ المدْرَسَةِ ، كَانَ يَقْطَعُ البَلَحَ الأَخْضَرَ وَيَقْذِفُ بِهِ أَصْدِقَاءَهُ ، لِيَغِيْظَ المؤَذِّنَ !..

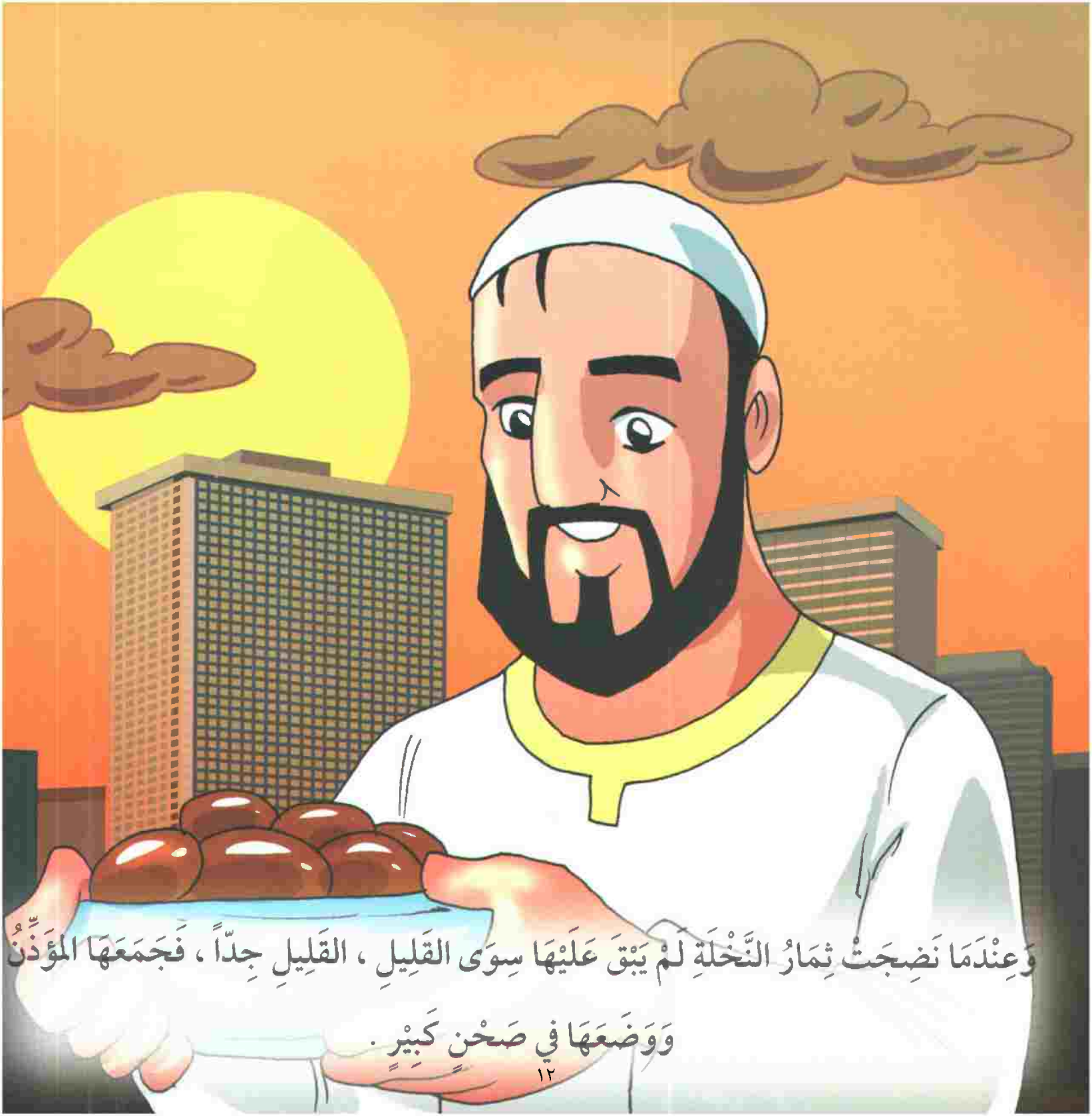

وَعِنْدَمَا نَضِجَتْ ثِمَارُ النَّخْلَةِ لَمْ يَبْقَ عَلَيْهَا سِوَى القَلِيلِ ، القَلِيلِ جِدّاً ، فَجَمَعَهَا المؤَذِّنُ وَوَضَعَهَا فِي صَحْنٍ كَبِيْرٍ .

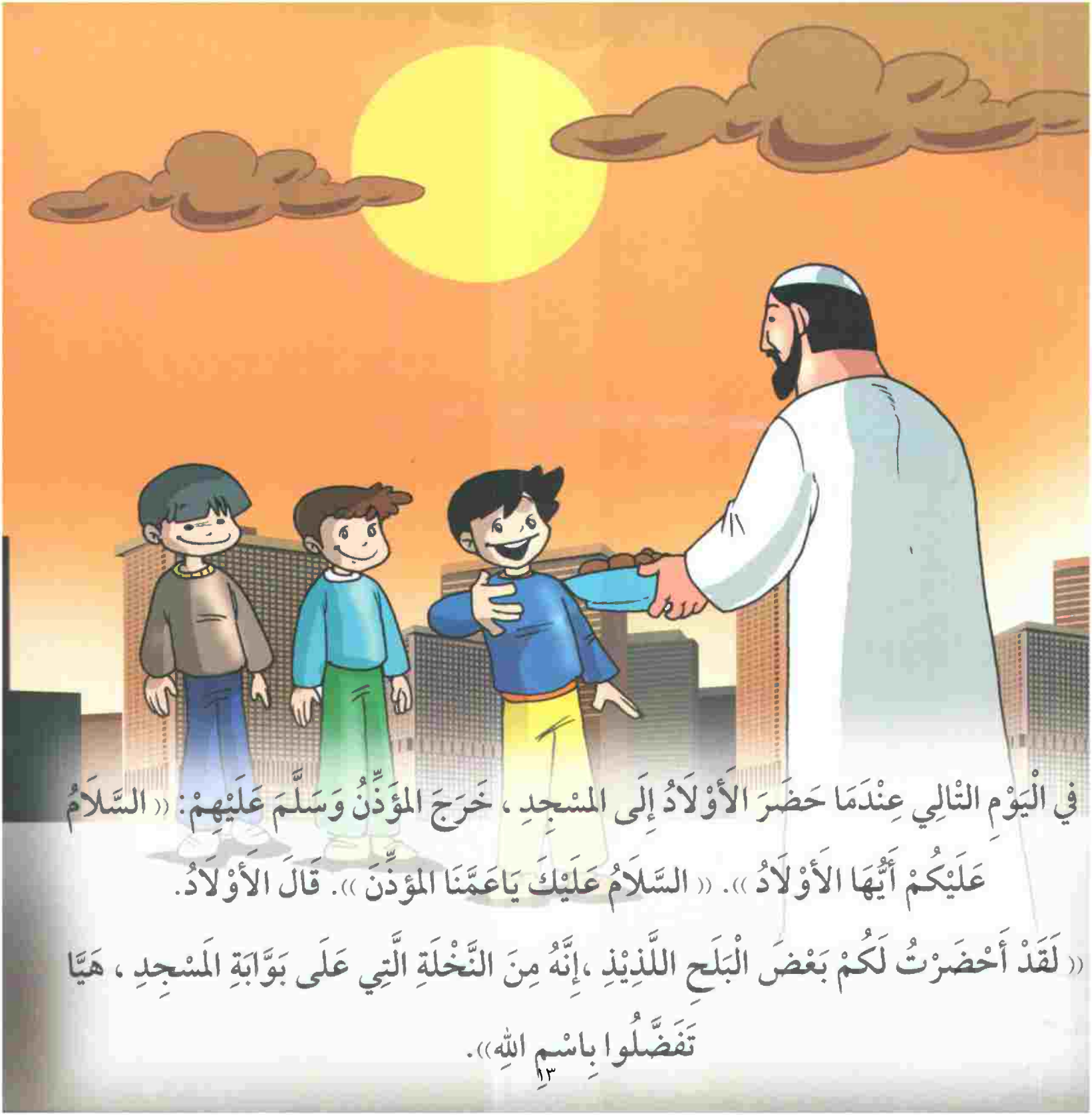

في الْيَوْمِ التَّالِي عِنْدَمَا حَضَرَ الأَوْلَادُ إِلَى المَسْجِدِ ، خَرَجَ المؤَذِّنُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ: « السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الأَوْلَادُ ». « السَّلَامُ عَلَيْكَ يَاعَمَّنَا المؤَذِّنَ ». قَالَ الأَوْلَادُ.

« لَقَدْ أَحْضَرْتُ لَكُمْ بَعْضَ الْبَلَحِ اللَّذِيْذِ ،إِنَّهُ مِنَ النَّخْلَةِ الَّتِي عَلَى بَوَّابَةِ المَسْجِدِ ، هَيَّا تَفَضَّلُوا بِاسْمِ اللهِ».

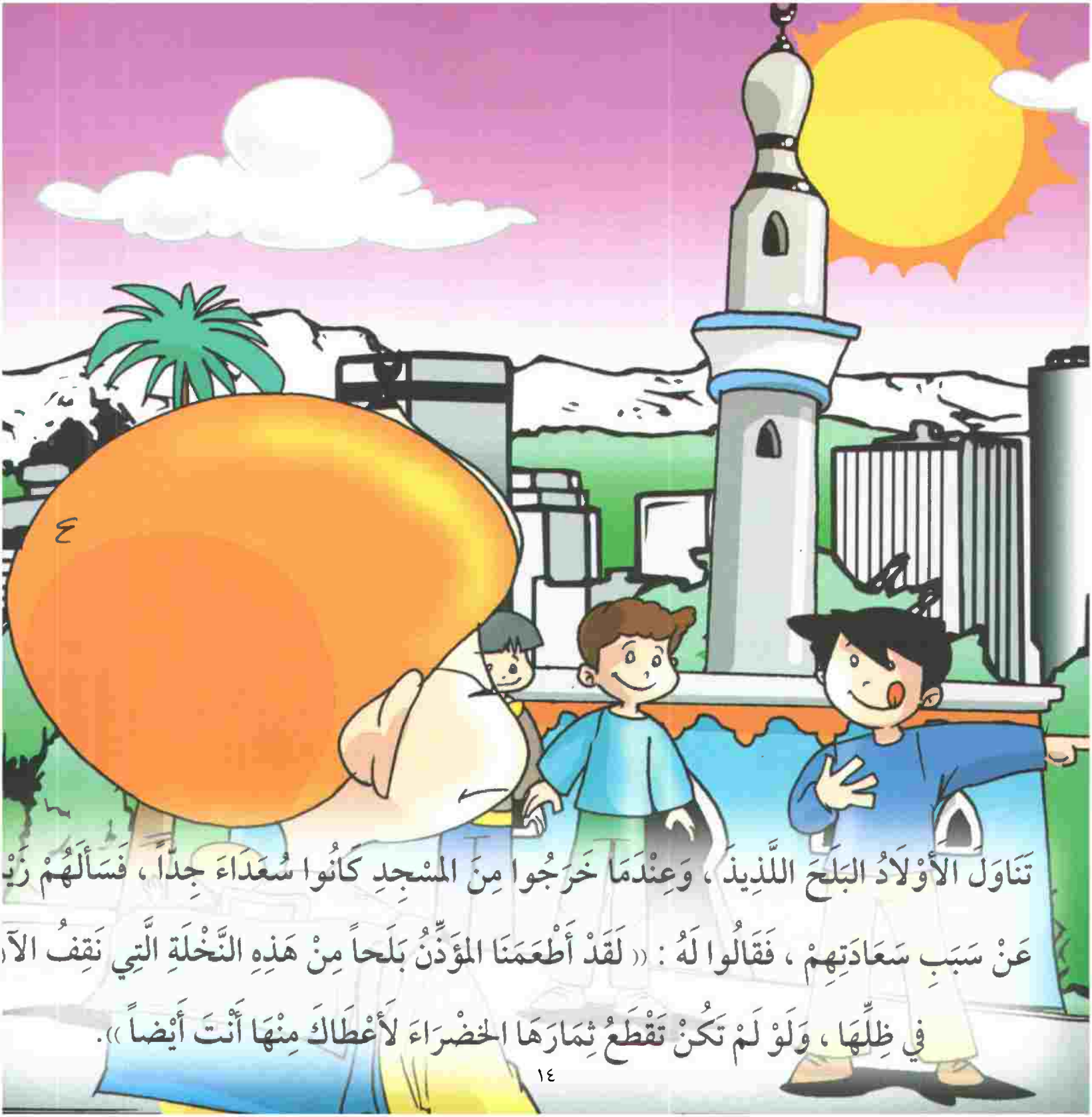

تَنَاوَلَ الأَوْلَادُ البَلَحَ اللَّذِيذَ ، وَعِنْدَمَا خَرَجُوا مِنَ المَسْجِدِ كَانُوا سُعَدَاءَ جِدّاً ، فَسَأَلَهُمْ زَيْ

عَنْ سَبَبِ سَعَادَتِهِمْ ، فَقَالُوا لَهُ : « لَقَدْ أَطْعَمَنَا المؤَذِّنُ بَلَحاً مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ الَّتِي نَقِفُ الآ

فِي ظِلِّهَا ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ تَقْطَعُ ثِمَارَهَا الخَضْرَاءَ لأَعْطَاكَ مِنْهَا أَنْتَ أَيْضاً ».

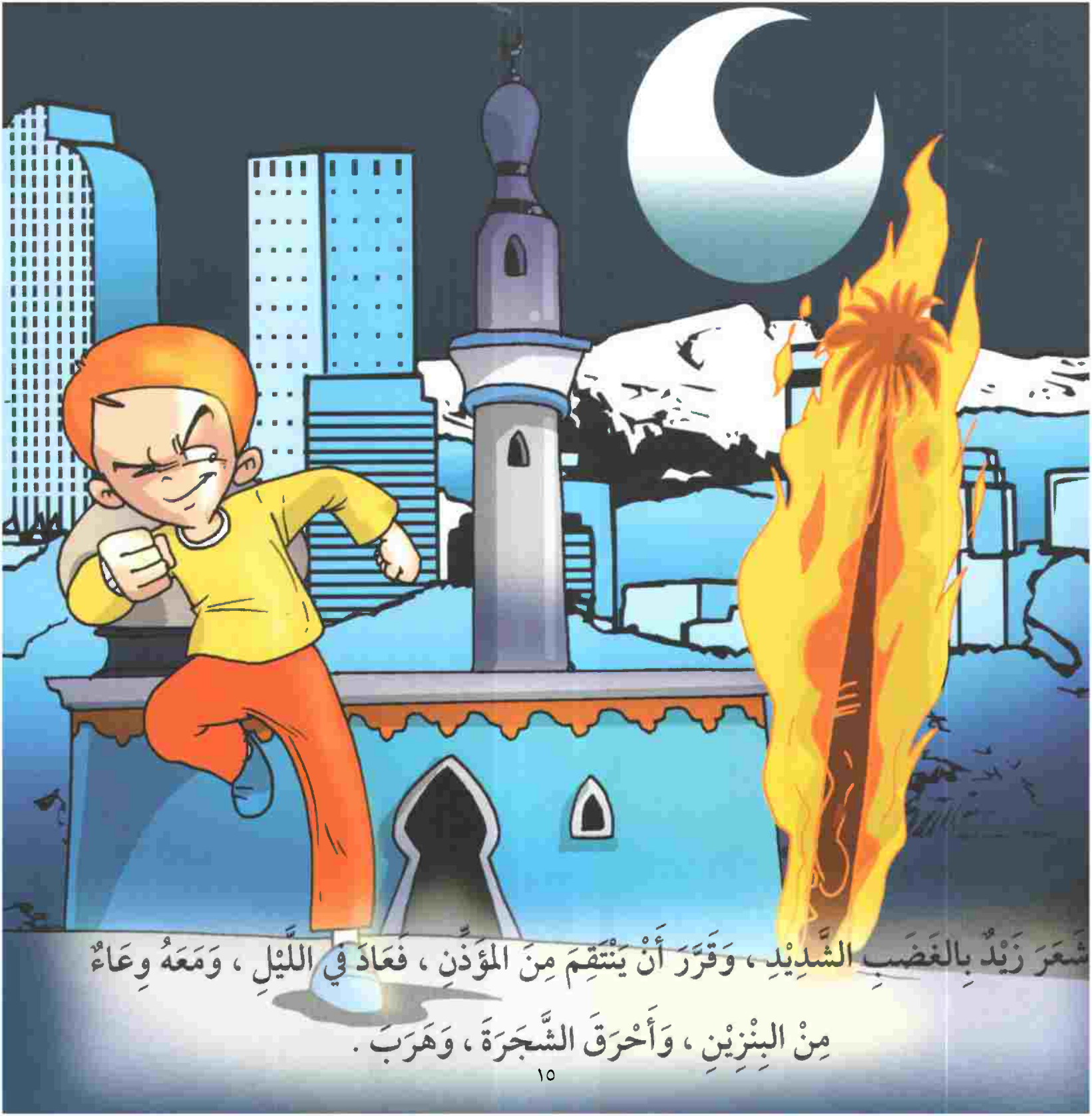

شَعَرَ زَيْدٌ بِالغَضَبِ الشَّدِيْدِ ، وَقَرَّرَ أَنْ يَنْتَقِمَ مِنَ المؤَذِّنِ ، فَعَادَ فِي اللَّيْلِ ، وَمَعَهُ وِعَاءٌ مِنْ البِنْزِيْنِ ، وَأَحْرَقَ الشَّجَرَةَ ، وَهَرَبَ .

فِي الْيَوْمَيْنِ التَّالِيَيْنِ غَابَ زَيْدٌ عَنِ الْمَدْرَسَةِ مُدَّعِياً الْمَرَضَ ، وَفِي اليَوْمِ الثَّالِثِ أَثْنَاءَ عَوْدَتِ
مِنَ الْمَدْرَسَةِ ، دَخَلَ الأَوْلاَدُ المسْجِدَ ، وَانْتَظَرَهُمْ خَارِجاً ، كَانَتِ النَّخْلَةُ الصَّغِيْرَةُ قَ
اخْتَفَتْ تَمَاماً وَتَحَوَّلَتْ إِلَى بُقْعَةٍ سَوْدَاءَ .. شَعَرَ زَيْدٌ بِالحرِّ لأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ ظِلاً لِيَقِفَ فِيْهِ

وَعِنْدَمَا خَرَجَ الأَوْلاَدُ مِنَ المسْجِدِ مَشَوْا مَعَ زَيْدٍ إِلَى بُيُوتِهِمْ ، لَكِنَّهُ بَعْدَ دَقَائِقَ قَلِيلَةٍ سَقَطَ عَلَى الأَرْضِ فَاقِداً الوَعْيَ .

فَتَحَ زَيْدٌ عَيْنَيْهِ لِيَجِدَ نَفْسَهُ فِي المَشْفَى ، فَقَالَ: « مَا الَّذِي حَدَثَ ؟ ».

« لَقَدْ أُصِبْتَ بِضَرْبَةِ شَمْسٍ » قَالَتْ أُمُّهُ.

« كَانَ عَلَيْكَ أَنْ تَقِفَ فِي الظِّلِّ قَلِيلاً بَدَلَ أَنْ تَمْشِي كُلَّ هَذِهِ المَسَافَةِ فِي الشَّمْسِ »

قَالَ الطَّبِيْبُ .

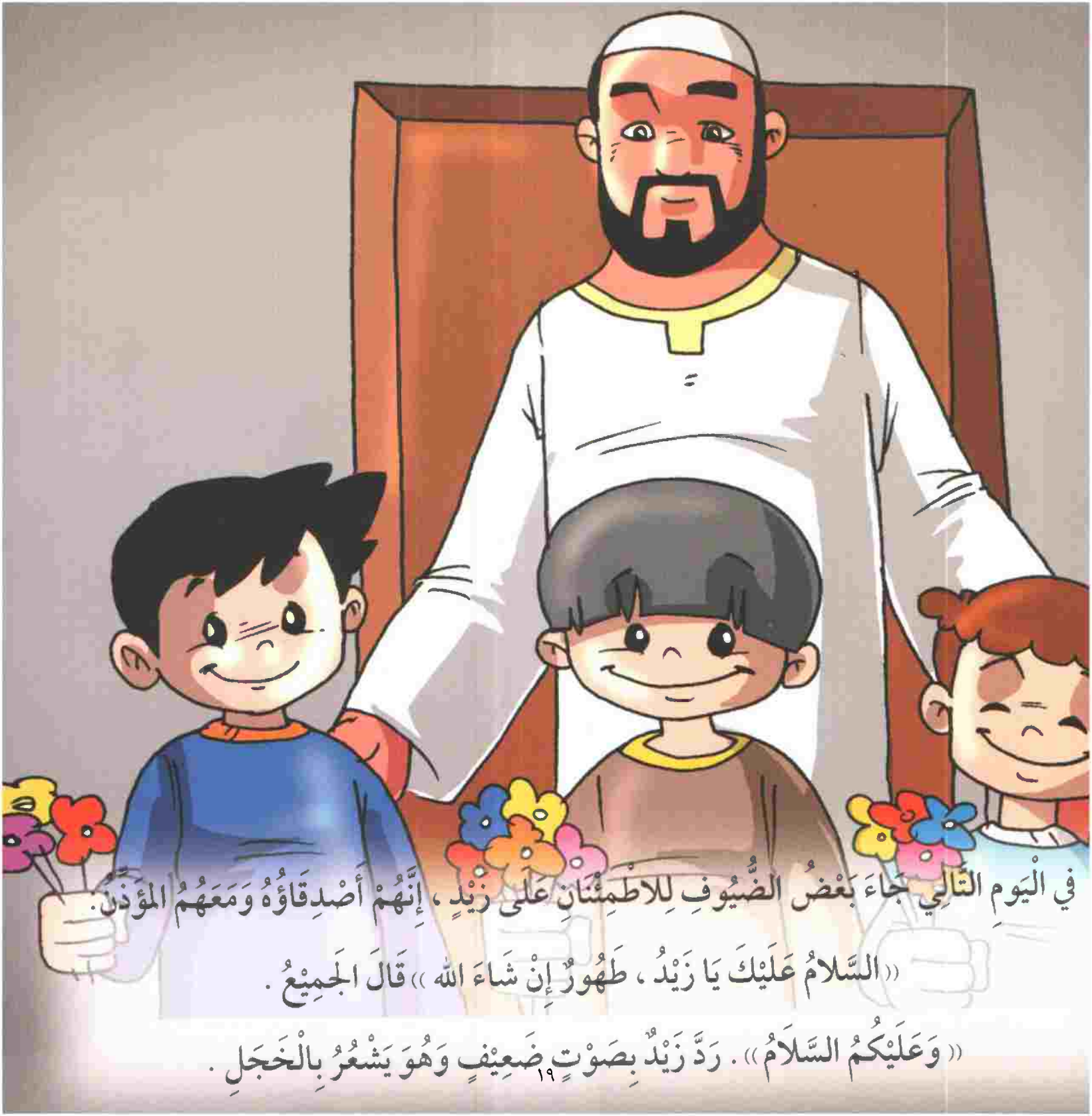

في الْيَومِ التَّالِي جَاءَ بَعْضُ الضُّيُوفِ لِلاطْمِئْنَانِ عَلَى زَيْدٍ ، إِنَّهُمْ أَصْدِقَاؤُهُ وَمَعَهُمُ المؤَذِّنُ.

« السَّلامُ عَلَيْكَ يَا زَيْدُ ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ الله » قَالَ الجَمِيْعُ .

« وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ » . رَدَّ زَيْدٌ بِصَوْتٍ ضَعِيْفٍ وَهُوَ يَشْعُرُ بِالْخَجَلِ .

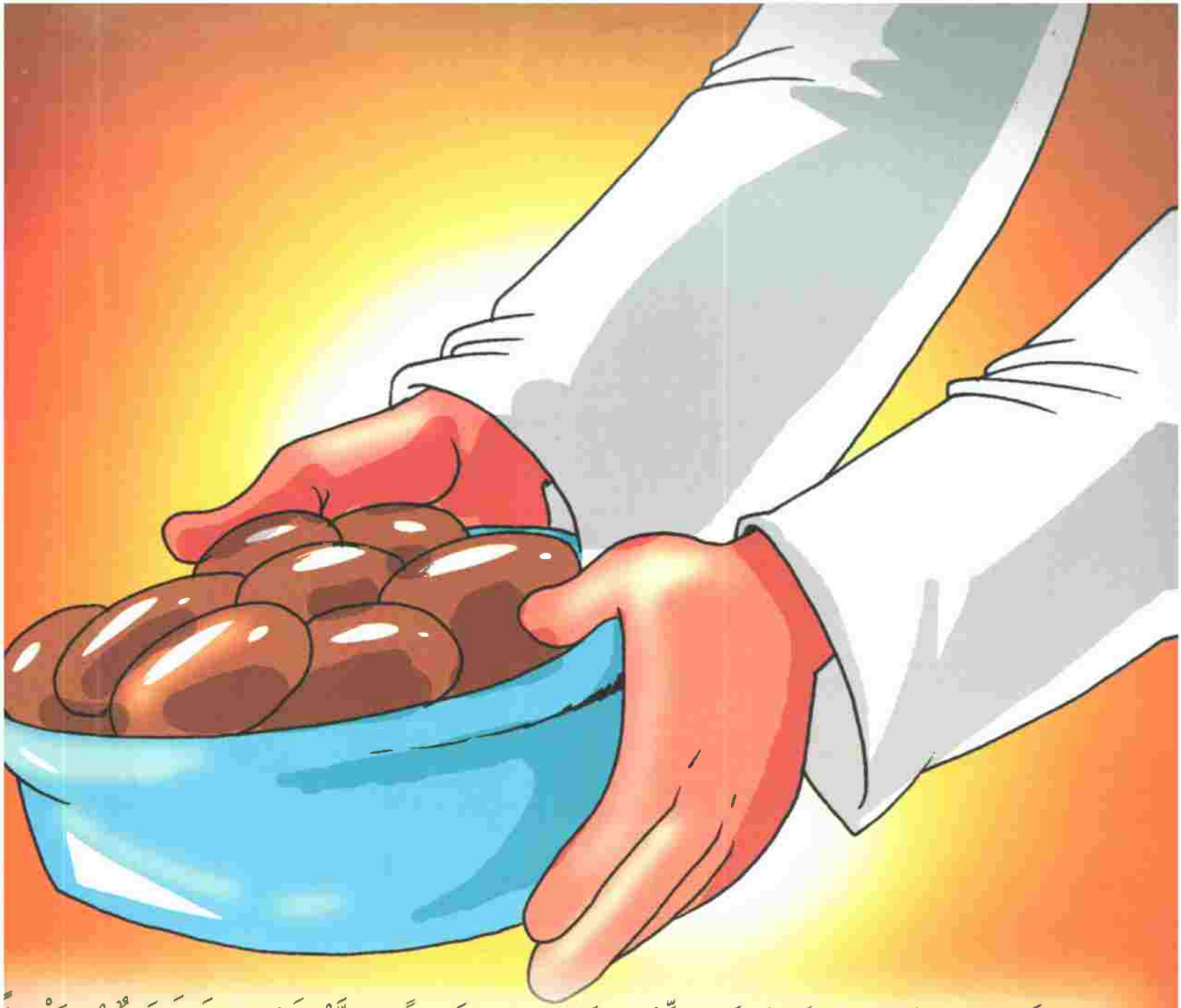

« لَقَدْ أَحْضَرْتُ لَكَ هَدِيَّةً » قَالَ المؤَذِّنُ ، وَفَتَحَ وِعَاءً كَبِيراً . « إِنَّهُ بَلَحٌ ! » قَالَ زَيْدٌ مُسْتَغْرِباً

« نَعَمْ إِنَّهُ حِصَّتُكَ مِنْ نَخْلَةِ المسْجِدِ ، لَقَدِ احْتَفَظْتُ لَكَ بِهَا فِي الثَّلَاجَةِ » قَالَ المؤَذِّنُ.

أَكَلَ زَيْدٌ البَلَحَ اللَّذِيْذَ ، ثُمَّ قَالَ : « أَنَا آسِفٌ يَا عَمِّيَ المؤَذِّنَ ، لَنْ أُزْعِجَكَ بَعْدَ اليَوْمِ ، أَعِدُكَ بِذَلِكَ » . « لَا عَلَيْكَ يَا بُنَيَّ ، فَكُلُّكُمْ أَوْلَادِي ، وَأَنا أُحِبُّكُمْ كَثِيْراً » قَالَ المؤَذِّنُ .

دَمَعَتْ عَيْنا زَيْدٍ ، وَشَعَرَ بِالحزْنِ عَلَى إِحْرَاقِ الشَّجَرَةِ ، فَأَخَذَ بِالبُكَاءِ قَائِلاً : « أَنا الَّذي أَحْرَقْتُ النَّخْلَةَ الَّتِي أَطْعَمَتْنِي مِنْ ثَمَرِهَا وَحَمَتْنِي مِنَ الشَّمْسِ بِظِلِّهَا ، فَعَاقَبَنِيَ الله ».

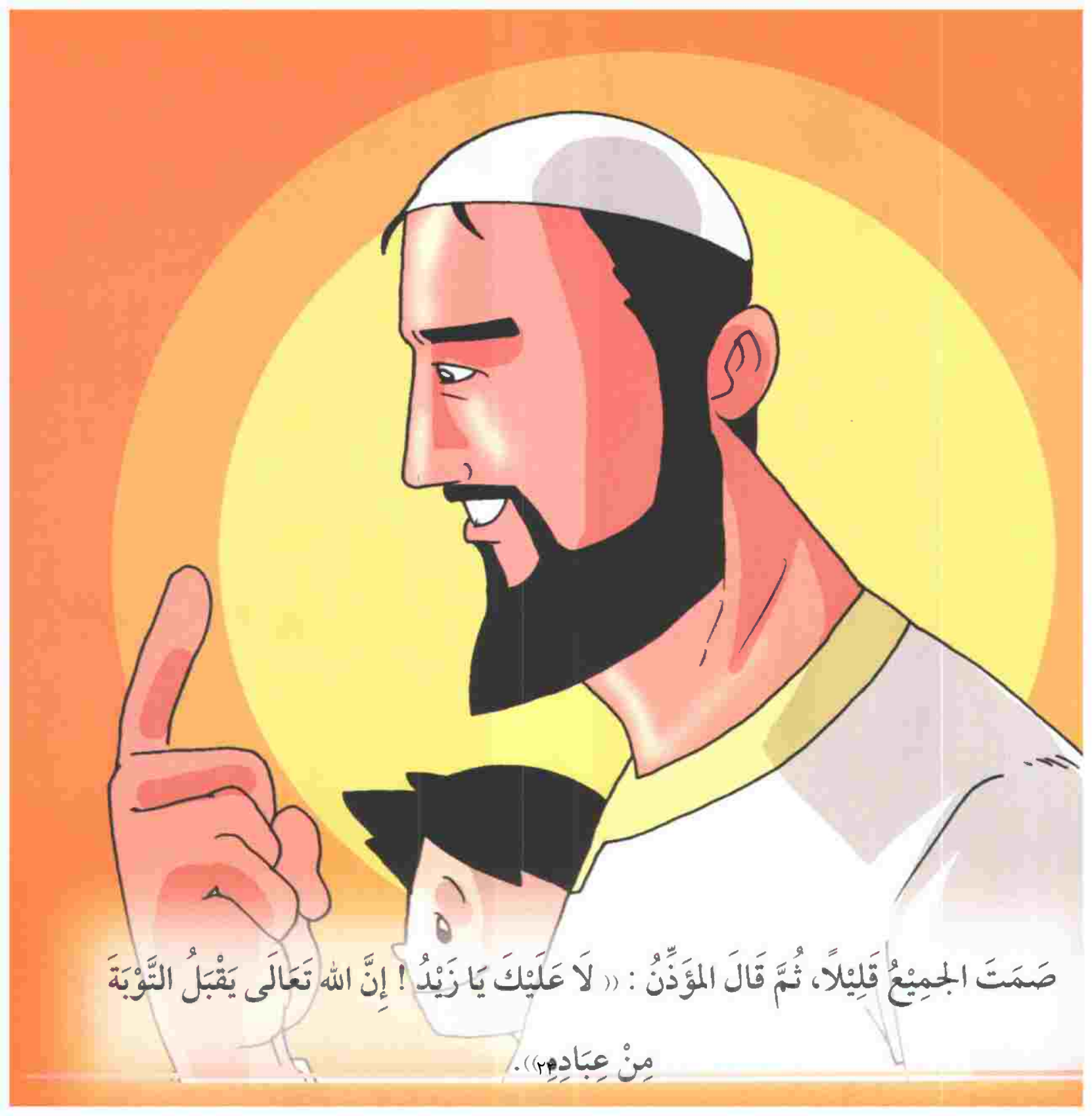

صَمَتَ الجَمِيْعُ قَلِيْلاً، ثُمَّ قَالَ المؤَذِّنُ : « لَا عَلَيْكَ يَا زَيْدُ ! إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ مِنْ عِبَادِهِ[٢٤] ».

« عَمِّيَ المؤَذِّنَ ! أَرْجو أَنْ تَحْتَفِظَ بِهَذَا النَّوَى مَعَكَ » قَالَ زَيْدٌ

وَنَاوَلَ نَوَى البَلَحِ الَّذِي أَكَلَهُ إِلَى المؤَذِّنِ . « وَمَاذَا سَتَفْعَلُ بِهِ يَا بُنَيَّ ؟ » سَأَلَ المؤَذِّنُ .

« عِنْدَمَا أَخْرُجُ مِنَ المشْفَى إِنْ شَاءَ الله أَعِدُكَ بِأَنَّنِي سَأَزْرَعُ حَدِيْقَةَ المسْجِدِ كُلَّهَا بِالنَّخِيْلِ »